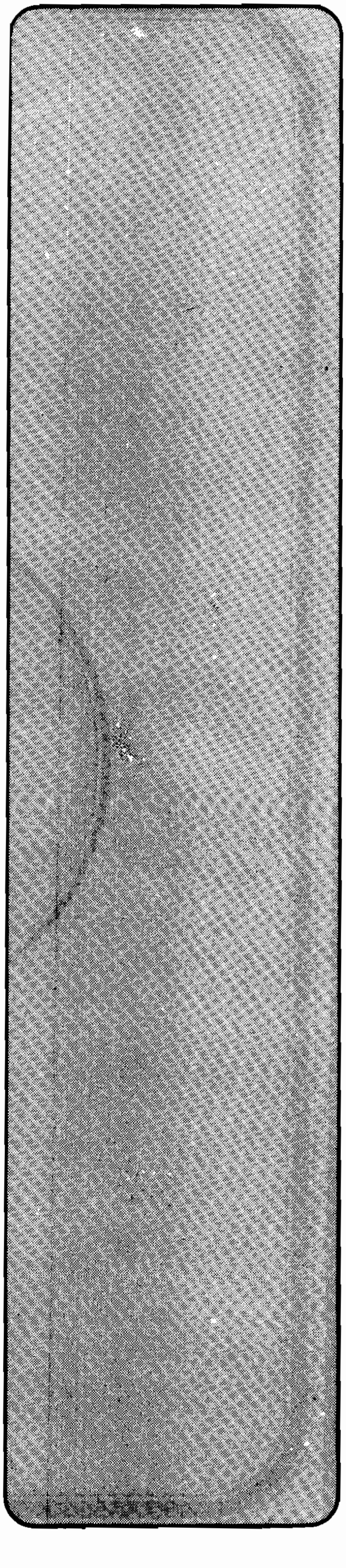
نَدوَة العَدد



استمرارا في سياسة التطوير التي انتهجتها مجلة العلوم الاجتماعية ، نتابع في هذا العدد نشر الندوات المختلفة التي تعالج شتى حقول العلوم الاجتماعية .

وتناقش ندوة هذا العدد موضوع :

دور المثقفين العرب في الحياة السياسية المعاصرة . يدير الندوة الكاتب والباحث السياسي توفيق ابو بكر . ويشارك فيها كل من :**الدكتور باسم سرحان** الخبير المساعد بالمعهد العربي للتخطيط . **والدكتور عبد الباسط عبد المعطي** استاذ الاجتماع بجامعة عين شمس والخبير المعار للمعهد العربي للتخطيط . والدكتور وليد مبارك الاستاذ المساعد بقسم العلوم السياسية في جامعة الكويت .

دور المثقفين العرب في الحياة السياسية المعاصرة

تنظيم وتحرير : توفيق ابو بكر*

● **توفيق :**

أرحب بكم في هذه الندوة التي تعقدها مجلة العلوم الاجتماعية ، حول دور المثقفين العرب في الحياة السياسية المعاصرة ، وهو موضوع ما زال محل نقاش واسع على كل الأصعدة ، باعتباره إحدى شروط تطوير المجتمع العربي وتحرّره من عوامل التخلف والتبعية .

أريد أن أدخل في الموضوع مباشرة ، وأطرح مجموعة من الأسئلة تساهم في تطوير النقاش السياسي والعلمي حول هذه المسألة .

سؤال : كيف تقيمون دور المثقف السياسي بشكل عام ، في التأثير على الواقع الاجتماعي والسياسي لأي شعب من الشعوب ، فهناك في هذا الاطار نظريتان : الأولى ترى أن العوامل الموضوعية ودرجة نضج هذه العوامل على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، هي الحاسم في تطور الشعوب وتحررها ، وأن المثقف يساهم فقط في إنضاج هذه الظروف ، وفي التبشير العام ، بينما تعلق النظرية الثانية أهمية قصوى على دور المثقفين يفوق مجموع العوامل الموضوعية ، ويعطيهم دورا بارزا واسعا ، وحاسما ، في خلق الظروف المواتية للتغيير .

(*) كاتب وباحث سياسي .

● **د. وليد مبارك** : أعتقد شخصيا بأنه قبل البدء في الحديث عن دور المثقف السياسي في الحياة العربية ، لا بد من تعريف « المثقف » وهو أن يكون المواطن على علم ودراية بالمؤسسات السياسية الموجودة في البلد ، وبالمعتقدات السياسية ، أيا كانت ، السائدة في المجتمع . وأن يملك المواطن ليكون مثقفا سياسيا ، الشعور بالانتماء ومن ثم المشاركة في المؤسسات السياسية القائمة . وعندما أتكلم عن المجتمع السياسي ، أتكلم أيضا عن البيئة والثقافات المتعددة في المجتمع ، والانتماءات الطبقية التي يخضع لها المثقف . كما يتأثر المثقف السياسي بالقيم التي تساهم في تنشئته ، منذ البدء ، هكذا أرى تعريف المثقف كبداية للنقاش في هذه الندوة .

● **د. عبد الباسط** : أنطلق من مجموعة الأفكار التي طرحها د. وليد ، قبل الاجابة على السؤال حول تعريف المثقف ، وحول تقييم دور المثقف تبعاً للنظريتين اللتين جاءتا في السؤال . لو دققنا في كلام د. وليد لجمعنا هذه الأبعاد التي تحدث بها تحت شعار « الوعي السياسي » : المثقف السياسي الذي يملك الوعي والدراية ، ولا أقصد بالدراية الفهم والمعرفة فقط . فالمثقف ، بالمعنى السياسي الذي نقصده ، هو ذلك الانسان القادر على ادراك واقعه السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، بشكل محدد ، وتفسير هذا الواقع تفسيرا حقيقيا واخذ موقف من هذا الواقع لتجاوزه نحو مستقبل أفضل للمجموعة التي ينتمي اليها ، ثم لمجتمعه الأوسع ، ثم لأمته اذا ما وضعنا بعين الاعتبار ان المستقبل هو الحركة الاساسية التي علينا أن نسعى اليها ، من منظور ان التغيير حتمي تاريخي لأي مجتمع من المجتمعات .

كيف نقيم دور المثقف : يجب ان ننطلق في كل ذلك ، من الواقع ومدى فهم المثقف لهذا الواقع ، او وجود عدة اسباب تحول بينه وبين ادراك هذا الواقع والوعي به والممارسة من خلاله ، الذي قد يبدأ بالمعرفة ، موقف سلبي مثلا ، ثم ينتقل للعمل الواسع . وفي رأيي أنه طبقا لذلك تكون النظريتان وجهين لعملة واحدة ، مرتبطتين جدليا . وكل منهما منفردة تكون مبتورة ، ذلك انه اذا افترضنا ضرورة ان يكون المثقف فاعلا في مجتمعه ، فلا بد ان تكون هناك علاقة جدلية بين المثقف وجماع الظروف الاجتماعية والاقتصادية السائدة في مجتمعه . وهنا تبرز على الفور مسألة « الطليعة المثقفة » ، إذ ليس من المنطقي او المعقول ان ينتظر المثقف الظروف حتى تنضج ، ليكون مجرد انعكاس ميكانيكي لها ، وإنما عليه تجاوز ذلك . وهنا علينا دائما الربط بين الظروف الاجتماعية الاقتصادية والمثقف السياسي القادر على التأثير في الواقع والعامل على انضاج الظروف الاجتماعية السائدة . لذلك أرى ان النظريتين المطروحتين : كلا منهما على حدة مبتورة ، ودائما لا بد من الربط بين جماع الظروف السائدة ، ودور المثقف الطليعي . ولا

بد من الاشارة الى ان المثقفين ليسوا شيئا هلاميا ، بل إنهم ينقسمون حسب التضاريس الاجتماعية ، فهناك مثقف يميني وآخر يساري ، وهناك مثقف يدافع عن مصالح طبقة معينة ، وآخر يدافع عن مصالح طبقة اخرى ، رغم ان جميع هؤلاء مثقفون . وليكن تعليقي هذا مداخلة أولية . . . ويمكن أن نعود لمناقشة بعض المسائل بشكل أكثر تفصيلا فيما بعد .

● د. باسم : دعونا نتفق على تحديد تعريف المثقف ، هل هو كل من يملك علما وثقافة أم هو المفكر الواعي الذي يحمل قضايا وهموم شعبه ، ويدافع عنها بحماسة . إنني شخصيا مع التعريف الثاني للمثقف ، رغم أن الصنفين متعلمان . فأنا مع تعريف المثقف بأنه رجل فكر Intellectual وليس الرجل المتعلم Educated ، وذاك المنخرط في هموم شعبه . وله دور ريادي . وبالنسبة للنظريتين المطروحتين في السؤال ، فإنني ما زلت أعتقد بأن دور المفكر ريادي وقيادي ومؤثر في مجمل الظروف الموضوعية القائمة .

● د. وليد : لدي ملاحظة بسيطة تتعلق بما قاله د. عبد الباسط ، وهي ضرورة التفريق بين المثقف السياسي ، والثقافة السياسية . فالمثقف السياسي يجب أن يكون فاعلا في مجتمعه ، لكن الثقافة السياسية هي مسألة مختلفة تماما . وملاحظتي حول ضرورة أن يسبق المثقف السياسي أو يتجاوز الواقع القائم اولا ، كمقدمة لتجاوزه . . .

● توفيق : أشكر لكم اجاباتكم ، على السؤال ، ولا أريد التدخل قدر الامكان في سير الندوة ، ولكن إذا أردت أن اعطي امثلة على ما قصدت في السؤال الأول ، فهناك مثلا من يعطون أهمية قصوى لفكر لينين في تغيير الوضع في روسيا القيصرية . بينما يرى آخرون ان ما كان حاسما هو الظروف المحيطة وليس فكر لينين ، ويستشهدون بفشل جيفارا ، رغم فكره المؤثر ، لأن الظروف الموضوعية لم تكن ملائمة ، ولو بالحد الأدنى لمجموع ما طرحه من افكار للتغيير ، مما سبب الانتكاسة .

● د. عبد الباسط : تعليق بسيط : تمكن لينين من فهم الظروف الموضوعية السائدة ، ولو لم يوجد لينين ، لكان هناك لينين آخر . بينما المثال حول جيفارا يتعلق بدور الفرد في التاريخ ، ودور الفرد في التاريخ ليس معزولا عن مجموع الظروف الملائمة والموضوعية العامة . وعلى كل حال ، فتقييم ما فعله لينين او جيفارا ليس ممكنا دون أخذ مقياس نظري واضح يتعلق بجدل العام والخاص . . . ولا يمكن ، في جميع الحالات ، أن يكون المثقف انعكاسا ميكانيكيا للظروف السائدة ، فإن كانت متخلفة ، تحول فكر المثقف ودوره الى انعكاس لهذا التخلف على سبيل المثال . وفي نفس الوقت فأنا لست مع القفز على الظروف السائدة وتكليف المثقف القيام بهذا الدور ، بل عليه دائما أن ينتقي

من الأساليب والممارسات الملائمة ، في المرحلة الزمنية المحددة ما يمكنه من تجاوز ما هو قائم ، نحو أفق أكثر رحابة ، وهذا هو دور المثقف بالمعنى الجدلي الذي أقصده .

● **توفيق** : سأنتقل لموضوعات أكثر تحديدا ، ولنبدأ بمسألة « المثقف العربي والقيادة » فقد كان للمثقفين العرب دور ريادي في قيادة الحركات الوطنية المنظمة في منطقتنا ، منذ ما قبل مرحلة الاستقلال السياسي ، وفي العهود الأولى للإستقلال السياسي . ولكن مع بدء عصر التغيير عن طريق الانقلابات العسكرية ، حيث أخذت المؤسسة العسكرية دورها الوطني في عموم بلدان العالم الثالث ، بدأ الانحسار في « طلائعية المثقفين » . . . وما زال هذا الانحسار مستمرا . . كيف تقيمون هذا التطور ، إلى الوراء ، في الحياة السياسية العربية ؟

● **د. عبد الباسط** : السؤال كما فهمته ، لماذا انتكس دور المثقف الوطني بعد الاستقلال السياسي ، رغم انه كان مفترضا ان يتقدم بدوره إلى مراحل أكثر تطورا وعطاء . وهذا الموضوع يقودني أولا إلى العودة للظروف الاجتماعية والتضاريس الاجتماعية التي كانت سائدة في الوطن العربي عشية الاستقلال . فقد كان شعار الاستقلال هدفا وطنيا عاما ، التفت حوله كافة الطبقات ، بمن في ذلك البورجوازية التي كانت متضررة من الاستعمار أو نحن نقصد البورجوازية (المنتجة) . ولذلك كان دور المثقف الوطني انعكاسا لتلك الظروف ، في مرحلة التقاء مصالح أغلب الطبقات حول هدف الاستقلال . ففي مصر مثلا ، كان شعار العامل والبورجوازي الوطني في مرحلة ما قبل الاستقلال هو : « الاستقلال التام ، أو الموت الزؤام » . ولكن عندما استلم العسكريون السلطة في منطقتنا ، وفي غالبية بلدان العالم الثالث ، عكسوا ثقافتهم وتربيتهم القائمة على الطاعة المطلقة ، وهي فكرة متناقضة إلى حد كبير مع الديمقراطية . كما أن غالبية ضباطنا الذين استلموا السلطة ، لم تكن لديهم رؤى سياسية واضحة ، في كافة المجالات ، وذلك أمر لا ينتقص من وطنيتهم . فالمسألة إذن طبيعة الأنظمة العسكرية ونظرتها للديموقراطية ، وجذور تلك النظرة .

أما المسألة الثانية فهي نمو وفرز المصالح الطبقية بعد الاستقلال ، حيث بدأت شرائح من البورجوازية تنمو وتنمو مصالحها وشكلت طبقة جديدة لها مصالح راسخة وأثر ذلك على عملية فرز وانحسار المثقفين ، بعد أن بدأت مصالح الطبقات التي اتحدت لنيل الاستقلال ، تتعارض ويتسع هذا التعارض .

كما أضيف الى ذلك أن طبيعة الثورات التي حصلت في الوطن العربي كانت ثورات وطنية مشغولة بمهمات التحرر الوطني ، وليس مهمات التحرر الاجتماعي ـ الاقتصادي ،

وكانت غالبية القيادات الجديدة من ابناء البورجوازية المتوسطة والصغيرة ، والتي لعبت دور التوازن ، أو حاولت ذلك ، وانعكس فكرها على العملية التعليمية وعلى وسائل الاعلام بما يخدم مصالحها . لذلك أرى أن ثمة علاقة حميمة بين انتكاسة الثورة في الوطن العربي ، وانتكاسة المثقفين . وأضيف هنا ، للاحتراس ، أنه ليس صحيحا بأن كافة المثقفين العرب قد سقطوا مع نمو وسائل القمع واستثمارها للتكنولوجيا الجديدة والمتقدمة في العالم .

● د. **وليد** : أتفق مع د. عبد الباسط ، أن الإئتلاف الوطني العام للتخلص من الاستعمار كان طبيعة مرحلة ما قبل الاستقلال . ولكن المسألة التي برزت بعد ذلك هي : ماذا بعد الاستقلال ، وما مهمات المرحلة الجديدة ، وما دور المثقف في ذلك كله ؟ ولماذا ما زال يسود عدم الاستقرار السياسي في المنطقة ؟

أعتقد ان المثقف السياسي ، لم يعط دوره للفعل في الواقع الاقتصادي والاجتماعي السائد . لقد أعطي هامش محدود للعمل من خلال الأحزاب الحاكمة القائمة ، أو بعض أحزاب المعارضة ، واعتقد ان احزابنا القومية والأممية والدينية - جميعها بلا استثناء ، لم تنجح في فهم الواقع الاقتصادي - الاجتماعي السائد في بلداننا . بل كانت بعضها متأثرة بأفكار غربية ، بعيدة عن واقعنا المعاش والمباشر . وحتى هذه الأحزاب ، لم تعط للمثقفين دورهم المطلوب للعمل من داخلها ، لأن قواعد اللعبة السياسية لم تسمح بذلك .

. . . وفشل الأحزاب ، أبقى الخيار الوحيد هو تحرك الجيش - باعتباره الأكثر تنظيما والمالك لوسائل العنف القادرة على الاطاحة بالسلطة ، مما أوجد ظاهرة الانقلابات العسكرية في منطقتنا .

● **توفيق** : تعتقد د . وليد أن فشل الأحزاب هو الذي أفسح المجال للجيش بالتحرك ، مع ان الانقلابات العسكرية في بلادنا أو أغلبها قادتها احزاب .

● د. **عبد الباسط** : أتفق مع د. وليد أن بعض الأحزاب العربية ، بمن فيها بعض الأحزاب التقدمية ، قد أخطأت في محاولتها القيام بنقل ميكانيكي لبعض التجارب الخارجية ، دون التفات كاف للخصائص المحلية - الاقتصادية والاجتماعية ، ودون القيام بتشخيص كاف لطبيعة السلطة السياسية ، ومراعاة القوانين النوعية الخاصة في واقعنا . ولو فعلت ذلك ، ودرست الواقع بعمق ، لاستنبطت وسائل وتكتيكات نضال جديدة تتفق مع المرحلة التاريخية . فهناك - على سبيل المثال - مثقفون طرحوا قضايا لصالح

الفلاحين بالفعل ، ومع ذلك قاومها الفلاحون أنفسهم إذ أن طبيعة مجتمعنا الزراعي ، وانتشار الأمية ، والفكر الـغيبـي أمور لم يجر استيعابها من قبل حركاتنا السياسية ومثقفينا .

زد على ذلك أن الانقلابات العسكرية ، لم تحدث تغييرات جذرية عميقة في اوضاعنا ، فقد بقي التعليم على سبيل المثال يسير بنفس الاساليب التي كانت سائدة أيام الاستعمار .

● د . **وليد** : تعليقاً على الملاحظة السابقة للأخ توفيق : أقول إنّ العنصر الأساسي في الانقلابات العسكرية ، التي حدثت في بلادنا ، كان الأفراد العسكريون في التنظيم السياسي ، وليس الجناح المدني من التنظيم . ويبدو أن العسكريين كانوا بحاجة للتنظيم السياسي ، من أجل إضفاء الشرعية على الواقع الجديد ، ولا شيء اكثر من ذلك . تماما كما تحاول أنظمة أخرى أن تضفي شرعية على وجودها باسم الدين .

● د . **عبدالباسط** : تأكيداً لما قاله د . وليد ، فقد كان الضباط هم الحاسمين في مسيرة الأمور ، وليست الأحزاب التي انتموا أو ينتمون إليها . فالضباط الأحرار في مصر ، كانوا ينتمون لمجموعات متناقضة من الأحزاب . من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، ولم يتمكن أي حزب بمفرده من السيطرة على الأمور .

● **توفيق** : ملاحظة بسيطة : عشية انقلاب الضباط الأحرار في مصر ، لم يكن أي من ضباط الثورة منتمياً ـ في تلك اللحظة ـ إلى أي حزب سياسي .

● د . **عبدالباسط** : كان بعضهم ينتمي إلى أكثرمن حزب سياسي ، قبل الثورة ، أو قبل انضمامه لتنظيم الضباط الأحرار .

● د . **وليد** : ما زلت أعتقد أن الحزب كان وسيلة العسكريين لاضفاء الشرعية . فحين استلم عبدالناصر السلطة ، وشعر أنه بحاجة لشرعية ، أسس فيما بعد ما عرف باسم « الاتحاد الاشتراكي العربي » الذي يبرر خطوات النظام . وحتى استصلاح الأراضي وتوزيعها على الفلاحين ، كان شكلا من أشكال البحث عن شرعية وتأييد ، في إطار أوسع القطاعات الشعبية .

● د . **باسم** : أعتقد أن الزملاء اشبعوا الموضوع بحثاً . ولكن لدي ملاحظات : فاستلام العساكر للسلطة ، قلّل حتماً من فرص العمل الجماهيري والديمقراطي المفتوح ، مما استتبع بالضرورة انحساراً في دور المثقف في ظل الوضع الجديد . وحتى الأحزاب التي استلمت السلطة عبر الجيش ، فقد حسم الجناح العسكري أمره مع الجناح المدني ،

وقام بتشريد وإبعاد القيادات الفكرية، حتى داخل الحزب نفسه ، وحوّل من تبقى منهم إلى تابع للسلطة يبرر خطواتها .

كما أعتقد أن الثروة الجديدة في المنطقة ، قد ساهمت بشكل مباشر وغير مباشر ، في سحب قطاعات واسعة من المثقفين ـ عبر وسائل الاغراء المختلفة ـ وإبعادهم عن دورهم الريادي والقيادي المطلوب : القمع والثروة إذن هما الحاسمان في انتكاسة دور المثقف السياسي .

● **توفيق** : أعتقد أن هذا الأمر يفتح المجال للانتقال للسؤال الذي يتحدث عما أسميه « بالمثقف والاستمالة السياسية » .

سؤال : ففي أيامنا ، حيث يضيق مجال الديمقراطية السياسية بشكل لم يسبق له مثيل ، ينحصر دور المثقف القادر على لعب دور سياسي ، في خيارَيْن محددين : إما أن يكون تابعاً للسلطة ، يبرر خطواتها ، أياً كانت تلك الخطوات ، ويسير في ركاب النظام ، مؤثراً السلامة ورغد العيش ، ومبتعداً بشكل طوعي عن لعب دور الابداع الذي يقوم على النقد اليومي المستمر ، وعلى صراع الأفكار الديمقراطي والمستمر .

والخيار الآخر أن يكون المثقف مقموعاً خارج إطار السلطة ، مقذوفاً بكل التهم والنعوت التي تكيلها له كل أدوات إعلام السلطة ، عبر أوركسترا متناغمة . وهذا الخيار الصعب ، أوجد ما يسمى في الحياة السياسية العربية المعاصرة « بالاستمالة السياسية » ، حيث يزداد عدد أولئك المثقفين السياسيين الذين يتساقطون يومياً ، وبعضهم يدين ماهية المتطرف ، ويشرع في تنظيرات جديدة باسم الواقعية . . . كيف تقيمون هذه المسألة .

● **د . باسم** : انتشرت الاستمالة السياسية حسب تعبير السؤال المطروح ، لسببين في رأيي : أولاً صعوبة التغيير الاجتماعي الذي يحتاج إلى صمود طويل ، لا يقدر معه بعض المثقفين السياسيين على الاستمرار ، حيث يحاربون بوسائل عديدة ، ومنها لقمة العيش ، كما نعرف جميعاً ، ويزيد هذا الأمر صعوبة عدم وجود أطر سياسية منظمة ، يعمل المثقف من خلالها ، أو تعارضه مع الأطر القائمة ، لسبب أو لآخر ، مما يجعل المثقف ـ كفرد ، لا يقدم على تضحية كبيرة ، لقاء مقال مثلاً ، أو ندوة ، أو غير ذلك من منابر طرح الأفكار .

والسبب الثاني :هو الاحباط الذي لازم المثقفين بعد أن أصاب الحركات السياسية المنظمة التي عمل في إطارها العديد من المثقفين ، ما أصابها من تشرذم وانقسامات وما

عانته من أزمات . كما حصل مع حركة القوميين العرب التي سبق أن استوعبت أعداداً واسعة من المثقفين في الستينات ، وكما حصل مع حزب البعث ومع الحركة الناصرية وغير ذلك .

وقد قابل هذه التطورات السلبية : ازدياد قوة الأنظمة ـ ثروة وقمعاً ، مما دفع بأجنحة من المثقفين للانضواء في إطار ما هو قائم والقيام بعمل إصلاحي محض ، على اعتبار أن التغيير الاجتماعي الشامل ، يزداد صعوبة يوماً بعد يوم .

كما أن المهادنة التي فرضت نفسها في الحياة السياسية العربية ، بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ م بين الأنظمة التقدمية والأنظمة المحافظة ، قد عكس نفسه على المثقفين .

● **د . عبدالباسط** : أفضل تسمية « الاستمالة السياسية » باسمها الحقيقي وهو « الانتهازية السياسية » ، فنحن في عصر سقوط المثقف العربي . لكن هذا لا ينفي إطلاقاً أنه ما زال هناك مثقفون يقاتلون ببسالة ، من مواقعهم .

وحتى يمكن تفسير الظاهرة التي أسماها السؤال بالاستمالة السياسية ، لا بد من العودة لما تحدثنا عنه في البداية ، وهو الترابط الجدلي بين جماع الظروف الاقتصادية والاجتماعية وبين دور المثقفين

فالعوامل العضوية لسقوط المثقف العربي تتعلق بإعداد وتنشئة المسرح السياسي الذي يفترض أن يلعب المثقف السياسي دوره من فوقه وعلى خشبته . فإعداد المسرح السياسي أو الاعداد المجتمعي حوّل الأحزاب السياسية إلى أحزاب بيروقراطية في السلطة ، والمشاركة داخلها بقي ذا طابع شكلي وصوري ، والقوى السياسية الجديدة ، لم تكن قادرة على أداء مهمات المرحلة . ولعلي أذكر ـ المناقشات التي جرت في التجربة المصرية حول تعريف المثقف ، والعامل والفلاح . ووجدنا ، في النهاية أن من يمثل العمال هم أصحاب العمل ، وأن البورجوازية الزراعية هي التي تمثل في النهاية الفلاحين .

وهكذا فإن عدم وجود تنظيمات تسمح بالمشاركة الحقيقة ـ كمقدمة أساسية للوعي الذي يفضي للدور الريادي للمثقف كان مسألة هامة حصدنا نتائجها فيما بعد .

كما أن التعليم والقيم التي غرسها ذلك النوع من التعليم سواء على النطاق المحلي ، أو في إطار المثقفين بالقيم الغربية ، قد كان عاملاً من عوامل انتشار الاستمال السياسية .

كما أن نسق القيم السائدة في المجتمع العربي باعتباره انعكاساً لجملة عوامل موضوعية داخلية وخارجية ، قد لعب في إطارهما عاملان هامان في الفترة الأخيرة : نكسة ١٩٦٧ م ، التي هزت المجتمع العربي من أعماقه وأوصلت بعضنا إلى حالة من

اليأس ، والنقد المرير الذي أوشك على هدم الشخصية العربية في مرحلة ما بعد الهزيمة ، حتى بتنا نصدق ما يقوله عنا الصهاينـة .

وكذلك الثروة النفطية والهجرة الواسعة إلى حيث يوجد الزيت ، مما أفرز مجموعة جديدة من القيم الأساسية : الانفصال بين العمل والتعليم ، فنوع العمل لا علاقة له بالتعليم ، ثم الانفصال بين العمل والدخل ، وعندما تتحول قضية الدخل إلى ارتزاق ، تهدم كل القيم القائمة على جماعية العمل وغير ذلك .

وقد تفاعل هذان العاملان ، مع الفراغ السياسي السائد وهو ما أسميته عدم وجود مسرح سياسي ، مما زاد من حالة التبعية بكل أشكالها ، وأثر على الأجيال الجديدة من المثقفين الذين فتحوا عيونهم على هذا الواقع ـ بكل تضاريسه التي تحدثنا عنها .

● د . وليد : موضوع « المثقف والاستمالة السياسية » ، يطرح بنفسه سؤالاً هاماً : ما هي القنوات التي تسمح بها الأنظمة القائمة في المنطقة للعمل السياسي ؟ والجواب معروف : إنها قنوات محلية ، تخدم إطار السياسية التي تتبناها السلطة الحاكمة ـ رغم التفاوت الحاصل في هذه المسألة بين هذه الدولة العربية أو تلك . ففي لبنان ـ على سبيل المثال ، أعطى إطار التعايش بين الطوائف هامشاً أوسع لهذه القنوات في المرحلة الماضية ، بينما ضاقت هذه القنوات لدى أنظمة عربية أخرى ، سواء أكانت تلك القنوات أحزاباً أو نقابات أو نوادي ثقافية واجتماعية .

ملاحظة ثانية : أنه بجانب التقسيم للمثقفين السياسيين بأنهم إما تابع للسلطة ، وإما معارض ، أرى أن هناك بعداً ثالثاً وهو الاغتراب واللامبالاة لدى عدد من المثقفين الذين يشعرون باللاإنتماء بسبب ما ينتابهم من قرف لطبيعة العمل السياسي المطروح . والاستمالة السياسية هي شكل من أشكال الانتهازية ـ كما ذكر د . عبدالباسط ، وهي في بعض الجوانب ، مظهر من مظاهر التعويض الاجتماعي .

المثقف السياسي المعارض ، لما هو قائم ، غالباً ما يعمل تحت الأرض بسبب انسداد أبواب القنوات الأخرى أمامه .

نقطة أخرى أود الحديث عنها ، وهي الإعلام السياسي : ففي بعض البلدان ، كلبنان مثلاً ، هناك هامش معين من الاعلام السياسي للرأي الآخر ، بينما توجه عدد من البلدان العربية الاعلام بشكل كامل ، لصالح سياساتها ، وهذا له تأثير سلبي على المواطن الذي يسمع رأياً واحداً ، مما يمنعه ذلك من التفكير والمقارنة بين الآراء المتباينة ويساهم في تشويه الوعي السياسي ، لأنه يسمع رأياً واحداً يمثل مصلحة واحدة.

● د . **عبدالباسط** : أبرز د . وليد مسألة « القنوات الممكنة للعمل السياسي » ، مسألة الاعلام السياسي الموجه وسلبياتها . ولكن هنا أرفض اعتبار مسألة ما بعد الاستقلال حتى اليوم ، كمسألة واحدة متصلة . ففي رأيي أن الستينات شهدت مرحلة من الابداع الحقيقي للمثقفين في كافة مجالات الفكر ، ويجب أن ألا نغمط هؤلاء حقهم .

كما أشير إلى انخراط بعض المثقفين في إطار السلطة القائمة ، كما حدث لمثقفين يساريين في مصر أيام عبدالناصر ، ليس لموقف انتهازي أو استمالة سياسية ، بل اعتقاداً منهم ، بنية طيبة ، أن ذلك مقدمة لتطوير وتحذير مواقف السلطة وتوجهاتها .

كما أود الإشارة إلى فئة « الصامتين » ، الذين لم يسقطوا بعد ، وإن تواروا عن الأنظار ، بانتظار مرحلة قادمة .

وهناك أيضاً « ثقافة تحت الأرض » : في مختلف مجالات الفكر والفن والثقافة وفيها مناحي إبداع عديدة .قصدت في هـذه الملاحظات ضرورة أن لا نضع الجميع في سلة واحدة : فالمثقف الانتهازي يختلف عن المثقف الصامت أو المثقف الصامد تحت الأرض ، أو المثقف الذي لعب دوراً ما في إطار السلطة ، ولكن بأفق استراتيجي بعيد النظر ، سواء أثبتت الحياة صحة توجهاتهم أم خطأها وما زلت أعتقد أن المثقف العربي قادر على أداء دوره الريادي والقيادي ، متى ما أتيحت له الظروف الموضوعية الملائمة .

السؤال الأخير : ربما كان السؤال الأخير يشكل امتداداً للموضوع السابق ، أو الوجه الآخر للمسألة المطروحة .

المسألة هي : « المثقف والالتزام» : فكثيراً ما تتصارع الآراء حول هذه المسألة . فالبعض يرى ، ربما بحكم الظروف الموضوعية ، وبحكم عوامل عديدة ، أنه يكفي للمثقف أن يكون ملتزماً بشكل عام ، في قضايا شعبه وأمته ، رغم الخلافات في تفسير الالتزام ، ودرجته . وترى هذه النظرية وأصحابها أنه لا ضرورة أن يكون المثقف جزءاً من حركة منظمة فاعلة ، لأنه بحكم أفقه الواسع وخياله المبدع ، يرفض أن يذوب في الكل ويصبح تابعاً ، وينفذ ثم يناقش ، ولعل مناقشات المثقفين العرب في مجلة الكاتب الفلسطيني وفي غيرها من ندوات حول مسألة « المثقفون والثورة الفلسطينية » ، قد ركزت على هذه المسألة التي كان لها مريدون أوسع .

أما الرأي الآخر ، فيقول إن دور المثقف سيبقى تبشيرياً عاماً ، ما لم يكن جزءاً من حركة منظمة ، تحفر بجهود المجموع، مجريات الصراع ، وتكثف الانجازات الكمية

المتوالية ، لتحدث ، في النهاية ، إنعطافات نوعية واضحة . إلى أي من النظريتين تميلون إلى الاعتناق ، وبناءً على أية معطيات ؟

● د . **عبدالباسط** : يتفرع من السؤال مسألتان فرعيتان : هل ينتظر المثقف لتنخلق الظروف الموضوعية الناضجة ، أم عليه المساهمة في خلق الظروف وإنفتاحها . وأنا مع الرأي الثاني وهي تمثل وعي دور المثقف الفرد في التاريخ ، وألوم المثقف إذا كان ينتظر الظروف حتى تنضج .

والمثقف السياسي الملتزم يبدأ من الأسرة ، والمدرسة ، والعمل ، والطبقة بشكل متصل ومتكامل حتى يلعب دوره المجتمعي المطلوب ، ضمن كل الدوائر . وقنوات العمل السياسي ، كما هو معروف ، قد تكون في النقابات أو الأحزاب ، أو النوادي أو غير ذلك . ولكن المهم دائماً كيف يستطيع المثقف أن يوصل رأيه للجماهير ، في ظل الأمية ، وفقدان القنوات المفتوحة ، وهنا ، في تقديري ، يأتي دور العمل القاعدي ، كل في موقعه ومن خلاله يستطيع ممارسة الوعي والتغيير ، دون انتظار نضوج الظروف . هذه جملة ملاحظات عامة في البداية .

● د . **باسم** : يمكن للمثقف أن يلعب دور المحرض العام ، أو دور الحارس المنظم ، أو دور المنسحب ـ الذي أقف ضده رغم أنه قد يفرض نفسه نتيجة للاغتراب الذي تحدثنا عنه .

وأعتقد أن الدور الأقوى والأكثر فاعلية للمثقف السياسي ، أن يكون جزءاً من حركة منظمة ، شريطة أن يكون صبوراً ومستعداً لتحمل كثير من إحباطات العمل اليومي ، والابتعاد عن المثاليات والحلول السريعة . وقد شاهدت في الثورة الفلسطينية ، عدداً من المثقفين ـ الفلسطينيين والعرب ، ينسحبون ويصابون بالاحباط ، بعد فترة قصيرة من انخراطهم في العمل السياسي . لأنهم لم يجدوا الصورة على أرض الواقع ، كما هي في أذهانهم وحسب تصوراتهم المجردة . ذلك أن للعمل السياسي تكتيكاته ومناوراته التي يفرضها الجو العام ، مما قد لا يتناسب مع ذهنية بعض المثقفين الذين ينظرون للأمور بمنظار الصفاء والمثالية كما أعتقد مشكلة رجل الفكر في بلادنا ، هو احتمال انخراطه في البحث مما يجعله بعيداً تماماً عن قضايا الجماهير ، وهذه المسألة بحاجة دائماً إلى موازنة دقيقة بين الاهتمام بقضايا الفكر ، والاهتمام بقضايا الجماهير ، وهذه الموازنة يوفرها في تقديري ، الانخراط في الحركات السياسية المنظمة .

● د . **عبدالباسط** : أعتقد أنه في ظل ظروفنا ، لو ألقى المثقف بنفسه في وسط

الجماهير ووسط الحركة السياسية ، فإن كثيراً من العقد يمكن أن تحل ، ويزول الغبار العالق في الجوهر ، لأنه بذلك سيحس بنفس الجماهير ويعايش مشاكلها ويشعر بتضحياتها واستعداداتها . فالعمل من وسط الجماهير ، هو المقدمة الأساسية للخروج من عنق الزجاجة ـ إذا أردنا أن نكون صادقين . لأن هذه الجماهير ستقودنا حتماً إلى الطريق الصحيح ، من خلال التفاعل المستمر ، ومن خلال لمس درجة الاستعدادات الواسعة التي يراها المثقف العامل في وسط الناس ، في صفوف العمال والفلاحين .

● د . **وليد** : مع الأسف ، فإن كثيراً من المثقفين في العالم العربي يعيشون في برج عاجي ، بعيدين عن الواقع ومشاكل الناس ، منعزلين عن الجماهير ، وهذه إحدى أزمات المثقفين في بلادنا . فالقلة من المثقفين هي المستعدة للانخراط في أشكال منظمة من العمل . وقلة أيضاً هم المستعدون للتعامل مع الثقافة ، بشكل ملتزم ، ولو كان في الإطار العام ، وكثيرون يتعاملون مع الثقافة ، باعتبارها مفتاحاً للجدل والترف الذهني ، والمماحكة السياسية .

وأعتقد أنه مطلوب من كل مواطن ، أن تكون له أهداف وطنية عامة ، تساعد على الدمج الاجتماعي . ومع الأسف نلاحظ سيادة التنشئة الثقافية الفئوية ، بدلاً من التنشئة الوطنية العامة ، والتنشئة القوية العامة . فالعالم يتجه في عصرنا إلى الدمج على المستويات الأقليمية الواسعة .

● د . **عبدالباسط** : أخشى أن نقفز عن الواقع ، بالجدّ في طلب الأهداف الاستراتيجية ، قبل أن نبحث في الشروط الابتدائية لحركة المثقف ، في ظل الظروف التي ناقشناها وسلّمنا بعناصرها وإطاراتها ، وسلمنا بالمحاربة الواسعة التي يلقاها المثقف الملتزم في كل شيء ، حتى لقمة العيش .

نحن هنا نخاطب المثقف الملتزم ، ونطالبه أن يكون صادقاً مع نفسه ، متمثلاً عدداً من القيم الأساسية ، مستعداً للتضحية ، واعياً لدوره التاريخي ، بمعنى واعياً أن تضحياته الراهنة ، ستقوده إلى مكاسب شعبية عامة في المستقبل .

ومطلوب منه ، لذلك ، أن يتجاوز صدقه الذاتي ، وينتقل من التبرير إلى التفسير للظواهر القائمة : تفسير الواقع ، وتفسير السلوك السياسي القائم ، وذلك هو مقدمة لانضاج الوعي الشعبي .

ومطلوب منه ، أن يتقن مخاطبة الناس ، عبر مشاكلهم المباشرة والملحة ، ولكن عبر ربطها بالقضايا السياسية والوطنية والقومية العامة ، وذلك هو الطريق التاريخي الناجح

الذي سادت عليه الحركات الوطنية الناجحة عبر التاريخ .

وتحضرني هنا كلمة لفرانز قانون : « إذا كان بناء جسر لا يثري وعي أولئك الذين يبنون الجسر ، فلا كان الجسر ، وليعبرْ الناس النهر سباحة أو على قارب » .

ودلالة ذلك أن المثقف ، ليكسر الحلقة المفرغة ، يجب أن يبدأ من الواقع ليحتضن الواقع ، لا ليحتضنه الواقع .

● د . **وليد** : هناك نقطة أخيرة أحب إضافتها ما دمنا نتحدث عن الواقع والواقعية ، وهي ضرورة توفر شكل من أشكال الضمانات للمثقف ، حين ينخرط في العمل السياسي .

● د . **باسم** : المثقف الملتزم مناضل سياسي ، وعليه أن يكون طليعة في تقديم التضحيات وتحمل نتائجها ، وأن يكون قدوة ، حتى لو كان لا يملك أية ضمانات للمستقبل . فطلب الضمانات المسبقة يخفف من مصداقية المثقف السياسي .